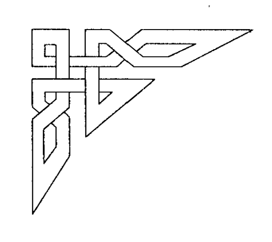
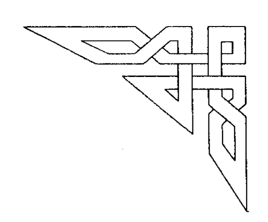
النســـــاء

مصابيح البيوت

الشيخ

بدوي عطية المحامي

الناشر
مكتبة عالم المعرفة
المنيا - ملوى - ش مصطفى كامل

الكتاب : النساء مصابيح البيوت

المؤلف : الشيخ بدوي عطية المحامي

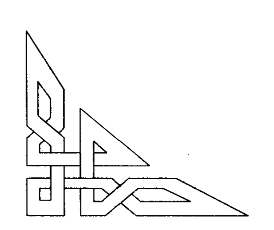
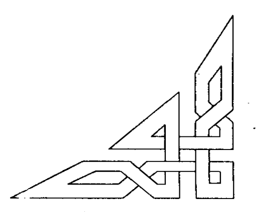
الناشر : مكتبة عالم المعرفة للنشر والتوزيع

رقم الإيداع : ٥٤١/٢٠٠٠

مكتبة عالم المعرفة للنشر والتوزيع

المنيا - ملوي - ش مصطفى كامل

ت : ٠٨٦/٦٤١٤٦٠ - ٠١٢/٢٨٢٨٢٢٥

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ومنعم الشاكرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، سبحانه وتعالى خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، سبحانه وتعالى رفع السماء بقدرته ، وبسط الأرض بحكمته ، وخلق الخلق لعبادته وزين السماوات بالملائكة والشمس والقمر والنجوم ، وزين الأرض بالكعبة الشريفة والأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين وجعل فيها جبالاً راسيات وأشجارًا وبحارًا وأنهارًا ودوابَّ وطيرًا سابحات .

سبحانه وتعالى فضّل بعض الأشياء على بعض ، وجعل لكل شيء حكمه وعلمًا ونفعًا ، جعل الرجال عماد الدنيا والحياة ، وجعل النساء زينة الحياة الدُنيا ومصابيح البيوت ، فهن شقائق الرجال ، وجعل لهن حقوقًا وعليهن واجبات حددها الإسلام في أعظم بيان وأقوى برهان وأعلى سلطان ، حتى ترقى البشرية وتكون في أمن وسلام وراحة واطمئنان لاتباعها منهج الرحمن سبحانه وتعالى .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من الخلق وحبيبه ، كان ﷺ قائدًا ومعلمًا وطبيبًا وقاضيًا وزوجًا وإمامًا ، وقد جعله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ، فقد كان ﷺ يتصف بأطيب المكارم وأعظم الأخلاق . فهو قدوة وأسوة للصادقين والصالحين ، كان رسول الله ﷺ يمشي على الأرض ، والعلم سلاحه ، والجهاد خلقه ، وحب الله أساسه ، والرضا بالله غنيمته ، والثقة في الله كنزه ، والمعروف رأس ماله والعقل أصل دينه ، والفقر فخره ، والصبر رداؤه ، والحزن رفيقه ، والصدق شفيعه وذكر الله أنيسه ، والصلاة قرة عينه .

فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

وبعد ..

فإن هذا الكتاب بفضل الله تبارك وتعالى هدية غالية ونصيحة وافية لنساء المسلمين التي منهن تكون الأم المسلمة والبنت المسلمة والأخت المسلمة والجدة المسلمة حتى تكون عونًا لزوجها وابنها وأخيها وحفيدها على طاعة الله عز وجل واتباع رسوله ﷺ ، فإن فعلت النساء ذلك أصبحت البيوت تضيء بنور القرآن الكريم وتفوح منها رائحة السنة المطهرة من حديث

رسول الله ﷺ ، فإن فعلت النساء ذلك كانت البيوت تتلألأ لملائكة السماء كالكواكب الدري في ظلمات السماء ، ورفرفت على البيوت رايات المودة والرحمة ، وأصبحت سيرة البيوت عطرة آمنة مطمئنة في كل مكان وعلى كل لسان .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

بدوي عطية المحامي

الفصل الأول

فقه النساء

فقه النساء في القرآن الكريم :

مما لاشك فيه الآن أن أعداء الإسلام وقفوا في طريق المرأة المسلمة حتى لا تكون أمًّا صالحة ولا زوجة مطيعة ولا عابدة خاشعة لربها عز وجل ، فبدأت الحرب من أعداء الإسلام بصرف المرأة وإبعادها عن منهج القرآن الكريم بصب السموم في الآذان والبيوت والعيون والقلوب بالأفلام الساقطة والمسلسلات الهابطة الفاسدة التي تزيّن القبيح وتشين الخير وتعين على فساد المرأة بحب الزينة الفاضحة والخروج لغير فائدة أو حاجة ، وصبوا عليها الأخبار الكاذبة والمعلومات السامة حتى بدأت بعض النساء تستجيب لما تسمع وترى من هذه الصيحات الإعلامية في أجهزة التليفزيون والسينما والفيديو ، وقد أهملت النساء وابتعدت عن منهج القرآن الكريم إلا القليل منهن - حفظهن الله عز وجل ، وإن لهذه الأجهزة أضرارًا صحية كضعف البصر ، وأضرارًا نفسية كتعلق القلب بممثلة أو ممثل ، وأضرارًا علمية لشغل الأولاد عن الدراسة ، وأضرارًا اقتصادية لإتلاف المال في شرائها ، وأضرارًا فكرية لأنها تضعف الذاكرة والفهم وضياع الوقت بغير فائدة ، ولو عرفت النساء فضل القرآن الكريم وما فيه من خير كبير ونفع عظيم لما غفلت المرأة عن ذكر ربها طرفة عين .

ولما دخل نابليون قائد الحملة الفرنسية مصر ووجد امرأة مسلمة تلاعب ولدها وتحنو عليه ، قال كلمته المشهورة : إن المرأة المسلمة إذا داعبت ولدها بيمينها زلزلت عرش فرنسا بشمالها .

حقًا إن تأديب المرأة المسلمة لولدها هو من حق الإسلام والمسلمين عليها ، ولهذا دخل نابليون برجاله وخيوله الأزهر الشريف وحرقوا المصاحف وقتلوا الشيوخ والعلماء للقضاء على أعظم شيء ألا وهو القرآن الكريم ، ولكن الله عز وجل يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

والواجب على النساء المسلمات أن يقرأن القرآن الكريم ويتدبرن ما فيه من الأحكام الشرعية ، فالله عز وجل يقول : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٤] ، ويقصد بذلك أن المرأة المسلمة تقرأ آيات الله وهي القرآن الكريم والحكمة هي سنة رسول الله ﷺ ، ونحن بفضل الله تعالى في هذا الكتاب نشير إلى بعض الجوانب الكريمة في بعض سور القرآن الكريم حتى تجتهد النساء المسلمات الصالحات في حفظ ما يتيسر لهن من القرآن والسنة المطهرة ، ولتعلم الأخت المسلمة أنها إن أرادت حفظ القرآن الكريم وصدقت عزيمتها وصلحت نيتها فإن الله عز وجل سوف يحقق لها أمنيتها لقوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧] ، ويجب على كل مسلمة مَنَّ اللهُ عليها بالإسلام أن تعد نفسها لهذه الرحلة العظيمة الكريمة ، رحلة حفظ القرآن الكريم ، لأن القرآن زادها وسلاحها في الدنيا إلى الجنة الخالدة ، ويجب على كل مسلمة أن تراعي أن للقرآن الكريم آدابًا يجب المحافظة عليها ، ويمكن أن نلفت النظر إليها وننبه العقول إليها وهي :

١- لا يمس المصحف إلا طاهرٌ ؛ ولذلك يستحب الوضوء قبل القراءة .

٢- يستحب السواك قبل القراءة لأن الفم طريق القرآن وفي السواك منافع للبصر والبطن .

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان قبل القراءة ، ثم البسملة ؛ لأن فيهما مكهابة وبركة .

٤- يستحب استقبال القبلة عند القراءة ، سواء في البيت أو في المسجد .

٥- يستحب المضمضة عند البصاق أو التنخع ويجب الإمساك بالفم عند التثاؤب .

٦- عدم قطع القراءة بالحديث مع الناس حتى لا يخلط كلام الله عز وجل بكلام الناس .

٧- التدبر والتفكير في الآيات التي تُقرأ حتى نقف على معانيها وأسرارها .

٨- عند قراءة آية فيها نعيم نقف ثم نسأل الله هذا النعيم ، وعند قراءة آية في عذاب نستعيذ بالله من العذاب .

٩- القراءة بتؤدة وترسُّل وعدم الإسراع فيها ، فإن بكل حرف في القرآن عشر حسنات .

١٠- عند ختام القراءة يُصَدِّق ربه ويشهد بالبلاغ للرسول ﷺ .

١١- ألا يُترك المصحف منشورًا مفتوحًا ، وألا نضع شيئًا فوقه من الكتب حتى يكون عاليًا .

١٢- لا يمر يوم إلا ويجب النظر في المصحف مرة لأن ذلك حظ العين من العبادة .

١٣- عدم محوه أو مسحه من اللوح أو الورقة بالبصاق بل بالماء ، وعدم إلقاء الماء في النجاسات .

١٤- عدم تأويله بأمور الدنيا مثل أن يقول لمن يأكل ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾ [الحاقة : ٢٤] ، أو يقول لشخص جاء إليه : ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه : ٤٠] .

١٥- عدم قراءته منكوسًا بل يقرأ مرتبًا كما ورد في المصحف ، وعدم الجهر بالقراءة على من يقرأ بجانبه حتى لا يفسد بعضه على بعض .

١٦- عدم قراءته في الأسواق أو مواطن اللهو أو مجمع السفهاء .

١٧- عدم التوسد عليه بوضعه تحت الوسادة ، وعدم الاتكاء عليه وعدم ، القاء المصحف لمن طلبه للقراءة بل يناوله له برفق .

١٨- عدم تزيينه بحروف الذهب ؛ لأن زينة القرآن في كلامه .

١٩- عدم كتابة آياته على الأرض أو الجدران .

٢٠- عدم دخول الخلاء والحمامات بالمصحف .

٢١- الاستشفاء بآياته سواء بالقراءة على المريض أو تقرأ على ماء فيشربها المريض .

٢٢- لا يقال : سورة صغيرة وإنما يقال سورة قصيرة أو طويلة .

٢٣- إذا ختم المصحف يجمع الأهل للدعاء وعمل وليمة لأن هذا فرح كبير ، ثم يبدأ بقراءة آيات من أوله حتى يبدأ عهدًا جديدًا مع القرآن ولا يكون ذلك آخر عهده بالمصحف .

هذا قليل من كثير في آداب قراءة القرآن يجب على كل مسلم ومسلمة مراعاتها ، فمن وقَّر وعظَّم كتاب الله عز وجل أعزه الله ورفع قدره وجعله من المفلحين .

وعلى النساء المسلمات أن يبادرن بقراءة القرآن الكريم ، فإن في سور القرآن الكريم إرشادات وتوجيهات عالية هامة وأحكامًا خاصة بالنساء .

فسورة البقرة تحدثت عن أحكام الرضاعة والحيض والعدة والنكاح والمهر ، وسورة آل عمران تحدثت عن ولادة مريم وولادة عيسى عليه السلام وفضل التوكل على الله عز وجل ، وسورة النساء تسمى سورة النساء الكبرى ، بينما سورة الطلاق تسمى سورة النساء الصغرى ، فقد تحدثت سورة النساء عن بيان النكاح وعدد النساء وحكم الصداق ، وذكرت ذوات المحارم وحكم ميراث أصحاب الفرائض .

وسورة النور فيها بيان فرائض مختلفة وآداب : حد الزاني والزانية ، والنهي عن قذف المحصنات ، وحكم القذف ، واللعان ، وقصة الإفك على الصِّدِّيقة بنت الصديق رضي الله عنه ، وشكاية المنافقين وخوضهم فيه ، وحكاية حال المخلصين في حفظ اللسان ، وبيان عقوبة البهتان ، وذم إشاعة الفاحشة ، والنهي عن متابعة الشيطان ، ومدح عائشة

بأنها حصان رزان ، ولعن الخائضين في حديث الإفك ، وبيان النكاح وشرائطه ، والأمر بحفظ الفروج وغض الأبصار ، وبيان استئذان الصغار ، والنهي عن دخول البيوت بغير إذن وإيذان (١) .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : علموا نساءكم سورة النور والغزل (٢) .

وسورة الأحزاب فيها الأمر بالتقوى ، و أن المتبنىَ ليس بمنزلة الابن ، وأن أزواج النبي ﷺ بمكان الأمهات الطاهرات ، وبيان النكاح والطلاق والعدة ، وضرب الحجاب وآداب الخروج من البيوت وسورة النمل تتحدث عن سياسة المرأة وذكائها مثل ملكة سبأ .

وسورة القصص تتحدث عن دور الأم في المحن كما حدث لأم موسى عليه السلام ، وعمل المرأة متى يباح كما حدث مع المرأتين وسيدنا موسى عليه السلام .

وسورة الطلاق بينت طلاق السُنة وأحكام العدة وفقه النساء حال الحمل والرضاع.

فمن هنا يجب على كل مسلمة أن تَجِدَّ وتجتهد في حفظ القرآن الكريم أو بعضه ، فإن لم تستطع فلتحفظ الآيات والسور التي تتحدث عن أحكام النساء .

وَلْتَعْلَمَ النساء المسلمات أن حفظ القرآن الكريم بركة في الدنيا والآخرة للرجال والنساء والأولاد . فقد قال أنس رضي الله عنه : إن ملكًا موكل بالقرآن فمن قرأ منه شيئًا لم يقوّمه قوّمه الملك ورفعه (٣) ، أي صحح الملك القراءة التي يقرأها الإنسان المسلم حتى تصعد إلى ربها في أحسن صورة وهذا من بركة القرآن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا قرأ القاريء القرآن أو لحن أو كان أعجميًا كتبه الملك كما أنزل (٤) . وفي هذا إشارة للاجتهاد في القراءة وعدم التسويف ، وعن ابن عمرو رضي الله عنهما : إذا قرأ الرجل القرآن بالفارسية أو أخطأ أو تخطرف كتبه الملك على الصواب ثم رفعه (٥) .

وقد ورد كذلك أن قاريء القرآن سواء كان رجلاً أو امرأة إذا مات زارت الملائكة قبره كما تزور الملائكة البيت الحرام . فهنيئًا لمن تحفظ القرآن وتُعَلِّمه لأولادها وأهلها . والبيت

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي جـ ٣٣٤/١ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٤٤٥٠/٥ .
(٣) الحبائك في أخبار الملائكة للسيوطي ص ١٥٦ .
(٤) نفسه ص ١٥٦ .
(٥) نفسه ص ١٥٦ .

عندما يقرأ فيه القرآن يزيد خيره ويقل شره وتعمره الملائكة وتفر منه الشياطين ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره ويكثر شره وتعمره الشياطين ولا تدخله الملائكة .. فيا أيتها النساء المسلمات أكثرن من ذكر الله والصلاة على رسو ل الله ﷺ وتدبرن القرآن الكريم يرفع الله قدركن ويشرح صدوركن أنتن وأهليكن . ولتعلم النساء الصالحات أن القرآن الكريم فيه شفاء وهداية ووقاية وحفظ من كل سوء ومكروه ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] ، ويقول : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء : ٤٥] .

ويقول سبحانه : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت : ٤٤] . وقال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (١) .

فقه النساء في الأحاديث النبوية

يجب على النساء المسلمات أن يجعلن لحديث رسول الله ﷺ جانبًا في حياتهن مثل القرآن الكريم ، لأن في حديث رسول الله ﷺ علمًا كبيرًا ومفضلاً عظيمًا ، فهو شارح لمجمل القرآن الكريم ، ومفسّر لبعض آياته وموضح لبعض أحكامه .

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين (٢) .

وجاءت أم سليم رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ وقالت : إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غُسل إذا احتلمت ؟ فقال النبي ﷺ : إذا رأت الماء ، فغطت أم سلمة وجهها ، وقالت : يا رسول الله أوتحتلم المرأة ؟ قال : نعم تربت يمينك فَفِيمَ يشبهها ولدها (٣) . والاحتلام للمرأة أن ترى في المنام أنها تُجَامَعُ .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك ، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن (٤) . وفي هذا الحديث دليل على حب النساء للعلم مثل الرجال والذهاب إلى المساجد للتفقه في الدين .

وعن عكرمة أن أم عمارة الأنصارية أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا

---

(١) فتح الباري جـ ٦٩٢/٨ .
(٢) فتح الباري لابن حجر جـ ٢٧٦/١ .
(٣) فتح الباري لابن حجر جـ ٢٧٦
(٤) فتح الباري لابن حجر جـ ٢٣٦/١ .

للرجال وما أرى النساء يُذكَرْنَ بشيء ، فنزلت الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت النساء : يا رسول الله ما باله يذكر الرجال ولا يذكر المؤمنات ، فنزلت الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ .

وعن قتادة قال : لما ذُكِرَ أزواجُ النبي ﷺ قالت النساء : لو كان فينا خير لذكرنا [١] فنزلت الآية : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢] ، وفي الآية فقه عظيم وعلم كبير للنساء حتى ترتقي الواحدة منهن لتأخذ هذه الصفات العشر .

فقد كانت النساء تزاحم على مسجد الرسول ﷺ فجعل لهن بابًا يدخلن منه وما زال باب النساء موجودًا حتى الآن في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ،

ومن فقه النساء في السنة ذكر العلماء أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت ٢٢٠٠ حديثًا ، بالإضافة إلى ما تحفظه من القرآن الكريم وقد حاولت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تصلح بين المسلمين الذين خرجوا على حكم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت تشرح المبهم من الحديث الذي يقوله النبي عليه السلام للنساء بإيضاح ما للمرأة بالمرأة من أجل الحياء ، وقال أحد الصحابة رضي الله عنهم : ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها [٣] .

وقال عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما وهو ابن السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وعن أبيها : ما رأيت أحدًا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها . فأين نساء المسلمين من هذا كله ؟ .

وقد سأل عروة خالته عائشة رضي الله عنها كيف تعلمت الطب ؟ قالت : كان رسول الله ﷺ يسقم في آخر عمره فكانت تَقْدُمُ عليه الوفود من كل وجه فتنعت له فكنتُ أعالجه فَمِنْ ثَمَّ [٤] .

---

(١) تفسير الطبري سورة الأحزاب .
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٥ ، انظر تفسير ابن كثير جـ ٤٨٧/٣ .
(٣) فتح الباري لابن حجر جـ ١٣٣/٧ .
(٤) الحلية لأبي نعيم جـ ٥٠/٢ .

ومن فقه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه لما مات رسول الله ﷺ ودفن في حجرتها كانت تجلس عند قبره على أية حال ، فلما دفن أبو بكر بجوار النبي ﷺ لم تتغير عما كانت عليه فلما دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت لا تدخل لزيارة قبورهم إلا وهي متحجبة فلما سُئِلَتْ قالت : أستحي أن يرى عمر عورتي في قبره ، نِعْمَ الحياء والأدب والفقه من أم المؤمنين رضي الله عنها .

فقه النساء في العبادات :-

حتى يتقبل الله عز وجل من المرأة عبادتها فلابد أن تتفقه في عبادتها لربها وتعلم شروط صحة هذه العبادات ، والله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

ويمكن لنا أن نوجز أمر العبادات في نقاط مختصرة ، ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى كتب الفقه الشرعية فإن فيها نفعًا كبيرًا وخيرًا عظيمًا .

١- الطهارة ٢- الصلاة ٣- الصيام
٤- الحج ٥- الزكاة

الطهارة :-

يقصد بها أن المرأة إذا نزل عليها دم الحيض أو النفاس أو حَدَثَ مباشرة مع الزوج أو احتلمت فعليها أن تغتسل غسلاً كاملاً يعم الجسد بالماء الصافي الذي ليس له لون أو طعم أو رائحة ، فإن المرأة إن وضعت الصابون على الماء أو الشامبو (مسحوق سائل ذو رائحة طيبة) لم يصح لها الغسل ، لأن الماء أصبح ذا طعم ولون ورائحة ولا يصح به رفع الجنابة ، مَثَلُه كمثل ماء الفاكهة والبطيخ وماء الطعام «الطبيخ» هو طاهر ليس بمطهر ، ولو وضعت المرأة على الماء ملحًا أو عطرًا لا يصح الغسل بالماء ولا الوضوء .

وهناك أمور يجب مراعاتها تدخل في الطهارة وهي من سنن الإسلام ، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « أمرنا النبي عليه السلام بدفن سبعة أشياء : الشعر ، الظفر ، الدم ، السن ، القلفة ، والمشيمة ، والحيض [١] ، قال العلماء : لأن، هذه الأشياء من جسد المؤمن ولها حرمة مثله ، فيجب دفنها حتى لا تتفرق ولا تقع في النار أو المذابل ، فهل تعقل النساء دفن هذه الأشياء ؟ فإن بعضهن يلقين الأظافر والشعر المقصوص في الطرق والشوارع وقد يكون سببًا لأذاهم فيا بعد ، وكثير من النساء تلقي المشيمة (خلاص

(١) تفسير القرطبي جـ ٤٨٩/١ .

الولادة) للقطط والكلاب ، وهذا لا يليق بمسلم فالأولى دفنها ، وكذلك الأسنان إذا سقطت وكذلك قطعة اللحم التي تقطع أثناء الختان .

وهناك أمر يجب على النساء أن تفهمه وتعلمه ، وهو أن المرأة إذا عاشرها زوجها في فراشها ولم يحدث إنزال منها ولا منه تقوم النساء بغسل الفرج فقط دون سائر البدن وتظل على جنابة وهي لا تعلم ، والرسول ﷺ يقول : «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل وإن لم يُنزل» (١) ، والحديث واضح اللفظ والمعنى .

ويجوز للمرأة إزالة شعر الخدين والشارب والذقن حتى لا تشبه الرجال ، ومن الواجب عليها أن تزيل شعر العانة وهي العورة ، وإزالة شعر الإبط وما بين العورتين ، ويستحب تقليم الأظافر كل أسبوع وبخاصة يوم الجمعة ، فإن زادت على عشرة أيام كان ذلك مكروهًا .

الصلاة :

الصلاة من العبادات الأساسية في الإسلام للرجال والنساء ، ويجب على المرأة المحافظة على الصلاة في وقتها حتى تكون من المفلحين في الدنيا والآخرة ، فلا تنشغل عن الصلاة بحديث مع النساء أو بالاستماع إلى فيلم أو مسلسل هابط مفسد ، ولا يصرفها صناعة الطعام وغسل الثياب عن طاعاتها لربها عز وجل ، ويستحب للمرأة أن تعلم أن هناك مواطن تُكره الصلاة فيها وهي :

١- لا تصلي المرأة وأمامها نار أو موقد للنار .
٢- لا تصلي وأمامها صورة أو تمثال أو صليب .
٣- لا تصلي وأمامها قبر أو مزبلة أو مجزرة .
٤- لا تصلي وأمامها الحمام أو دورة المياه أو مرآة .
٥- لا تصلي المرأة بجوار رجل أجنبي عنها .
٦- لا تصلي المرأة في أماكن ملعونة ، كأرض فيها عذاب أو سينما أو في مسرح لأنها أماكن للمعصية .

ومن يُسْر الإسلام أنه يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد وهي تحمل ولدها على يديها أو كتفها وقد صلى رسول الله ﷺ وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ فإذا

---

(١) رواه مسلم ، حديث (٣٤٨) .

سجد وضعها وإذا قام حملها [١] .

وكذلك إذا دخلت المرأة المسجد للصلاة وكانت تحفظ القرآن وفي أثناء الصلاة أخطأ الإمام في القراءة فيجب على المرأة عدم رفع صوتها بالقرآن ، بل عليها أن تصفق بيديها فقد قال رسول الله ﷺ : «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» [٢] . ولا يجوز للنساء الأذان أو الإقامة أو الإمامة في المسجد بين الرجال ، ويجوز لهن إمامة النساء في البيوت ولا يرفعن أصواتهن حتى لا يسمعها الرجال .

الصيام :-

يجب على النساء أن تعرف ما يصح به صيامها وما يبطله حتى يرضى الله عنهن ويتقبل منهن .

فيجب أن تعلم المرأة أن صيام يوم العيد حرام سواء كان عيد الأضحى أو الفطر ، ولا يجوز لها صيام التطوع إلا بإذن زوجها ، ويكره صيام الجمعة منفردًا ، وصيام يوم شم النسيم .

ويكره للصائم وللصائمة : ذوق الطعام ، وجمع الريق في الفم ثم ابتلاعه ، ترك السحور ،والقبلة للزوج والزوجة ، ومشاهدة الأفلام .

وأما ما يبطل الصيام فعلوم : كالجماع ، والأكل والشرب بغير عذر شرعي ، والقيء المتعمد .

الحج :-

كما أن الصيام فرض على كل مسلم ومسلمة فكذلك الحج على من يستطيع ذلك بالمال والنفس ، ولكن للمرأة المسلمة آدابًا لابد أن تعرفها وتقوم بها أثناء الحج .

١- ليس على النساء في الحج حلق لشعر الرأس إنما التقصير للنساء والحلق للرجال وذلك بعد تمام المناسك .

٢- لا يجوز للنساء في الحج أن تزاحم على الحجر الأسود لتقبيله وإنما تشير إليه ويداها حذو صدرها ولا ترفعها ، ولا يجوز لها العطر أو جماع زوجها أو قص الأظافر أيام الحج .

٣- لا يجوز للنساء أن ترفع صوتها بالتلبية فإن ذلك حرام .

٤- يستحب للمرأة الطواف ليلاً سترة لها وبُعدًا عن زحام الناس و أعينهم .

---

(١) فتح الباري جـ ٧٠٣/١ .

(٢) فتح الباري جـ ٦٣/٣ .

الزكاة والصدقة

أوجب الله عز وجل على المرأة المسلمة إن كان عندها مال كثير يبلغ حد الزكاة مرت عليه سنة أن تخرج زكاة مالها ، وكذلك إن كان للمرأة زينة وحُلِيّ من المذهب زاد عن قيمة النصاب وهو ما زاد عن ٨٦ جرامًا من الذهب أن تخرج زكاة مالها أو حليها وزينتها .

وأما الصدقة فلها أن تخرج صدقات كثيرة فإنها دواء للمريض وحفظ للمال من السرقة والضياع ، وكانت أم المؤمنين عائشة تضع على الدراهم مسكًا وطيبًا فسألوها لماذا هذا ؟ قالت : « لأن الصدقة قبل أن تقع في يد السائل تقع في يد الله وأحب أن يراها الله عز وجل في أطيب حال » ، فرضي الله عن نساء النبي ﷺ .

ولما ماتت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وجدوها قد كتبت وصية بأن جميع أثاث بيتها صدقة لجارية كانت تخدم السيدة عائشة رضي الله عنها في حياتها .

وهكذا كانت النساء الصالحات تتاجر مع الله عز وجل لأنه سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل : ٢٠] .

* * *

الفصل الثاني

آداب النساء في البيوت

آداب النساء مع الأزواج :

حتى تكون البيوت المسلمة آمنة مطمئنة هادئة ترفرف عليها رايات السعادة والبركة ، يجب على المرأة المسلمة أن تكون عونًا لزوجها على طاعة الله عز وجل والاقتداء بسنة رسوله ﷺ ، ولا يجب على المسلمة أن تتشبه بنساء أهل الكتاب أو النساء الفاجرات الساقطات ، ويجب عليها أن تتصف بكل صفات الإيمان وتتجنب الصفات التي تغضب الله عز وجل .

وقد حذر العرب أولادهم أن يتزوجوا ستة من النساء ، قالوا : لا تنكحوا من النساء ستة : الأنانة ، والمنانة ، والحنانة ، والحداقة ، والبراقة ، والشداقة .

- أما الأنانة فهي كثيرة البكاء والأنين وتعصب رأسها تدعي المرض .
- المنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا .
- الحنانة التي تحن إلى زوجها السابق وولدها من زوجها الآخر .
- الحداقة التي تنظر لكل شيء بحدقة عينها فتشتهيه وتكلف زوجها شراءه .
- البراقة تكون طول النهار في تصقيل وتزيين وجهها ليكون له بريق ، فتغضب فلا تأكل إلا وحدها وتستقل بنصيبها من كل شيء .
- الشداقة وهي كثيرة الكلام ، والرسول ﷺ قال :«إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين» (١).

ومما سبق ونعلم أن المرأة لابد أن تجتنب هذه الصفات الذميمة حتى لا تتعب زوجها بل يجب على المرأة أن تكون عونًا لزوجها على طاعة ربه سبحانه وتعالى ، فيجب على المرأة أن تعرف للزوج حقه ، فالله عز وجل يقول : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤/٧١٢ ، الحديث رواه الترمذي برقم (٢٠١٨) بمعناه وهو حديث حسن .

الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء : ٣٤] ، ويقول عز وجل : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران : ٣٦] ، والرسول ﷺ يقول : «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» (١) ، وقال ﷺ : «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (٢) رواه مسلم ، وقال ﷺ : «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور» (٣) . ويقصد بالتنور الموقد أو الفرن أو بالمصطلح الحديث المطبخ ، فلتترك كل شيء وتلبي دعوة زوجها طاعة لربها عز وجل .

وعلى هذا فإنه يجب على المرأة المسلمة التي تريد رضوان الله عليها أن تراعي حق الزوج كالآتي :

١- أن لا ترفع صوتها فوق صوته وتحسن السمع له والطاعة .
٢- أن تنظم له مواعيد نومه وطعامه وتنظم له بيته وتعرف أحب المأكولات والفاكهة إلى نفسه .
٣- أن تحفظ ماله من الإسراف والتبذير .
٤- ألا تُفْشِيَ له سرًا ولا تعصى له أمرًا إن كان الأمر موافقًا لشرع الله عز وجل .
٥- أن تتزين له ووتتجمل له ولاتفرح إنْ كان حزينًا ولا تحزن إن كان فرحًا .
٦- أن تعين زوجها بمالها إن كان معسرًا فإن ذلك من عوامل المودة والحب بينهما .
٧- يجب على المرأة المسلمة عدم نشر الملابس الخاصة بها في المناشر الخارجية فهذا مجانب للأدب .
٨- أن تجعل المرأة في بيتها مكتبة إسلامية لزوجها من الكتب والأشرطة الدينية .
٩- أن تجعل في بيتها صيدلية إسعاف بسيطة للجروح والحروق والأدوية السهلة .
١٠- الغسل والاستحمام والنظافة بصفة دائمة وتقليم الأظافر ووضع الطيب أثناء الحيض وعدم أكل البصل أو الثوم إلا بعد قتله بالطبيخ حتى لا تكون منه رائحة نفاذة تؤذي زوجها وعليها بالسواك .
١١- عدم الحديث عن النساء الأجنبيات ، سواء المسلمات الأجنبيات أو غيرهن مع الزوج فإن ذلك يسبب الحرج والضيق للزوج .
١٢- تشجيع الزوج على حفظ القرآن وحضور دروس العلم وصيام الاثنين والخميس من كل

---

(١) رواه الترمذي ، برقم (١١٥٩) حديث حسن .
(٢) رواه مسلم برقم (١٤٦٧) .
(٣) رواه الترمذي برقم (١١٦٠) وهو حديث حسن غريب .

أسبوع .

وعلى الزوجة أن تراعي أن هناك أمورًا كثيرة لابد من تعلمها من الناحية الشرعية فمثلاً :

١- يجب على المرأة المسلمة أن تنصح زوجها بأن يأكل من الحلال مهما كان الأمر .

٢- يجب على المرأة المسلمة أن تعرف آداب الفراش مع زوجها وهي : قبل الجماع مع زوجها يستحب أن يأكل طعام اللحم أو الفاكهة ، وأن يتطيب برائحة طيبة هو وهي ، قبل الجماع يذكران الله حتى يبارك الله لهما في ذريتهما ، ويجب عدم استقبال القبلة عند الفراش ، ويجب أن يستر نفسه وتستر نفسها عند المباشرة ، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (قبض رسول الله ﷺ ولم يَرَى مني ولم أَرَى منه) (١) ، ويكره النوم عاريًا فلابد من التغطية ولو بغطاء خفيف ، ويحرم أن يتحدث الزوج أو الزوجة بما تم بينهما مع الناس مهما كانت صلة القرابة ، لقول الرسول «إنما ذلك كشيطان لقى شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون» (٢) ، وعلى المرأة أن تعرف أن النوم له سنن ، فالنوم على الجنب الأيمن نوم الأنبياء مستقبلين القبلة ، والنوم على الظهر نوم العلماء ، والنوم على الجنب الأيسر نوم الأغنياء لأنه يساعد على هضم الغذاء ، والنوم على القفا والبطن نوم الشياطين والسفهاء ، ويكره النوم بعد العصر لأنه قد يسبب الجنون والمرض إلا لصاحب عذر ، فقد قال عمر رضي الله عنه : «من نام بعد العصر فذهب عقله فلا يلومن إلا نفسه» ، إنما وقت القيلولة سنة وهو بعد صلاة الظهر استعدادًا لقيام الليل .

وعلى المرأة أن تتجنب الطعام الحار والحامض والنيء لأنها تسبب النسيان وبعض الأمراض ، ويستحب للمرأة إن أكلت طعامًا بعد صلاة العشاء ألا تنام بل يجب أن تتحرك ولو أربعين خطوة في بيتها حتى لا تمرض ولا يحدث عسر هضم .

ومن أهم أسباب هضم الطعام ما قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم» .

نعم إنها نصيحة غالية وفائدة عظيمة ، إن الصلاة بعد الطعام والذكر تكون سببًا للحركة الجسمية وهذا ما يساعد على هضم الطعام ، أما الأكل ثم النوم فورًا فقد يسبب المرض وقسوة القلب .

* * *

(١) فتح القدير جـ ٨ كتاب الحظر ، فصل النظر .

(٢) رواه أحمد برقم (٢٧٠٣٦) بسند حسن .

آداب النساء مع الأولاد :

لو علمت النساء المسلمات ما أعد الله لهن من الأجر والجزاء لصبرن على أولادهن وحُسْن تربيتهم وتوجيههم ، ولتمنت كل مسلمة أن يرزقها الله كل عام مولودًا يكون سببًا لرضوان الله عليها في الدنيا والآخرة .

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم : المرأة إذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المجاهد في سبيل الله ، وإذا ضربها الطلق فلا تدري الخلائق ما لها من الأجر ، فإذا وضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نفس تحييها ، فإذا فطمت ضربت الملائكة على منكبيها وقالت استأنفي العمل (١) ، وقال ابن عمر رضي الله عنه : «المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط في سبيل الله وإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد» .

كل هذه الفضائل حتى تحب المرأة أولادها وتحافظ عليهم وتكثر من الإنجاب ، بل إن الإسلام جعل الجنين الذي يسقط قبل تمام مدة الحمل له عند الله شأن عظيم ، وهو ينفع والديه يوم القيامة ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : «صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه فيأخذه بثوبه فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة» (٢) ، والدعموص : مثل العلقة أو الدودة الصغيرة (٣) ، وقال أنس رضي الله عنه : «سموا السقط يثقل الله به ميزانكم فإنه يأتي يوم القيامة يقول يا رب أضاعوني فلم يسموني» ، لذلك يستحب اختيار اسم للسقط الذي ينزل قبل تمام مدة الحمل .

وقد وردت عدة أحاديث تفيد أن السقط يبعث يوم القيامة زاحفًا على بطنه يناجي ربه ليشفع لوالديه حتى يدخلهما الجنة ، فإن الله عز وجل لا يخلق مخلوقًا سُدًى بل لحكمة يعلمها عز وجل .

فقد جاء عن رسول الله أنه قال : «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وإني مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط يظل مُحْبَنْطِئًا على باب الجنة يقال له : ادخل الجنة فيقول يا ربي وأبواي ؟ فيقول : ادخل أنت وأبواك» (٤) ، مما تقدم نفهم أهمية المواليد في الإسلام حتى السقط له قيمة عند الله عز وجل يوم القيامة ، فكيف برضاعة الطفل إذا تمت ولادته

(١) كنز العمال في السنن والأقوال جـ ٤١٢/١٦ .
(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٣٥) .
(٣) لسان العرب لابن منظور جـ ١٣٨٤/٣ .
(٤) رواه الطبراني (٤١٦/١٩) بسند حسن .

فيكون الأجر أعظم وأكبر .

ويجب على النساء المسلمات أن تراعي آدابًا شرعية للمولود عند ولادته ، فيجب اختيار الاسم الحسن بعد مشاورة مع الزوج ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله «أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن» (١) ، ويكره الأسماء القبيحة مثل مرة وجعرور أو أسماء الحيوانات وأسماء المشركين .

الرضاع :

لأهمية الرضاعة في الإسلام فقد تحدث القرآن الكريم عنها في أكثر من سورة وأوجب على الأم أن تحسن رضاعة ولدها بنفسها ، لأنه أحق بذلك وهي أولى بذلك دون غيرها إلا لعذر شرعي كمرض أو عيب في ذلك .

فقد جاء في قول الله عز وجل : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ففي هذه الآية إشارة هامة لأهمية الرضاعة من الأم ، وإذا أرادت الأم المسلمة أن ترضع ولدها من غيرها فعليها أن تعلم شيئًا هامًا جدًا .. إن لبن الأنثى يختلف عن لبن الذكر ، وكذلك فإن الرضاعة قد تجعل الرضيع يكتسب بعض الصفات من المرضع ، فإن كانت المرضع امرأة صالحة كان المولود صالحًا ، وإن كانت المرضع امرأة سيئة الخلق خبيثة النفس اكتسب المرضع بعض صفاتها ، فلو رضعت أنثى من راقصة أو فاجرة لأخذت بعض صفاتها الخبيثة ، وقد ورد حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا أنه قال : «الرضاع يغير الطباع» (٢) ، فلتحذر كل مسلمة على أولادها من رضاعة أولادها من غير المسلمات أو من النساء الخبيثات .

والأولى أن الأم هي التي ترضع ولدها . قال الإمام مالك رضي الله عنه : «إذا بكى الطفل ردوه إلى أمه فإن ضمته إلى صدرها يهدأ لأنه يعرف دقات قلبها» ، وفي الحديث القدسي عن رب العزة قال : «يا ابن آدم جعلت لك قرارًا في بطن أمك وجعلت لك متكئًا عن يمينك ومتكئًا عن شمالك فأما الذي عن يمينك والكبد ، وأما الذي عن شمالك والطحال ، وجعلت وجهك في ظهرك أمك لئلا تنفر من الرحم وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك غيري» .. «فلما أن تمت مدة حملك أمرت الملك الموكل بالأرحام فأخرجك على ريشة من جناحه ليس لك يد تبطش ولا رجل تسعى عليها ولا سن

(١) رواه مسلم برقم (٢١٣٢) .
(٢) كنز العمال جـ ٦ ص ٢٧٠ .

تقطع ، وأنبتُ لك في صدر أمك عرقين دقيقين يخرجان لك لبنًا حارًا في الشتاء ، باردًا في الصيف ، فهل يقدر على ذلك غيري» ؟! سبحانك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .. جعل للمولود غذاء لا يقدر عليه ولا يستطيع صنعه أي مصنع في العالم كله ألا وهو لبن الأم .

فائدة لبن الأم :

حتى تهتم كل أم مسلمة برضاعة أولادها فقد أثبت علماء الطب في أوروبا وفي العالم كله أن الإسلام هو الحق لأنه أمر بالمحافظة على لبن الأم وأباح لها الإفطار في شهر رمضان حتى ترضع ولدها ولا يوجد بديل عن لبن الأم ، وأخيرًا عرفوا قدر لبن الأم وإليكم أيتها المسلمات بعض فوائد الرضاعة ولبن الأم :

- لبن الأم هو الغذاء الأكمل للطفل من سن يوم إلى ستة أشهر .
- لبن الأم فيه نسبة متوازنة من الغذاء والدهون ولا يسبب أي ربكة معوية للطفل .
- لبن الأم ينزل معقمًا نظيفًا من صدر المرأة فلا يحتاج إلى غليان فينزل طاهرًا شافيًا .
- لبن الأم لا يسبب إسهالاً أو جفافًا وكذلك فإن درجة حرارته مناسبة للطفل صيفًا وشتاءً بقدرة الله عز وجل .
- لبن الأم فيه مناعة ضد الحصبة والسعال الديكي والتيفود .
- لبن الأم به نسبة أملاح تمنع من الإغماء والتشنجات في الصيف عند ارتفاع درجة الحرارة .

فائدة الرضاعة للأم :

- الرضاعة تجعل الرحم للمرأة الوالدة يعود إلى وضعه الأصلي قبل الولادة .
- الرضاعة تقلل من النزيف الذي يحدث بعد الولادة .
- الرضاعة تمنع احتقان أمراض الثديين وتقلل من الإصابة بالسرطان في الصدر .
- يستحب أن تبدأ الرضاعة للمولود بعد ٨ ساعات من الولادة ومدة الرضاعة الواحدة ما بين ١٠ دقائق إلى ١٥ دقيقة ثم يتم رفع الطفل ليتجَشَّأ (يتكرع) ويجب على المسلمة أن تهتم برضاعة أبنائها فلا تهملهم ولا تظلمهم ، ويستحب أن تكون الرضاعة كل ثلاث ساعات .

والرضاعة تثبت بالإرضاع من المرضع للرضيع سواء قام الرضيع بمص الثدي أو

شرب اللبن بطريق آخر ، ولو وصل اللبن إلى الطفل الرضيع عن طريق الصب في الحلق (الوجور) أو الصب في الأنف (السعوط) [١] ، أو عن طريق الحقن أو القطارة أصبح ابنًا لها بالرضاع ويحرم عليه الزواج من بناتها أو أخواتها أو أمهاتها .

ويجب على المرأة المسلمة المساواة بين أولادها في الحب ولا تفرق بينهم حتى لا يحدث عداء بينهم ، وعليها أن توزع الحنان بعقلها وعلمها ، فقد سأل بعض الناس امرأة عربية قال : من أحب أولادك إليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود .

ويجب على المرأة المسلمة أن تشجع أولادها على العبادة وحفظ القرآن وتدربهم على الصدق والصدقة بأن تعطي أولادها أموالاً بسيطة يتصدقون بها ، وتوزع العمل في البيت على الأولاد حتى لا يكون بينهم كسول أو خمول ، وإن وجدت ولدًا عاصيًا لا يصلي أو لا يذاكر فيتم معاتبته ومعاقبته على ذلك ، وعليها كذلك أن تفرق بينهم عند النوم إذا كانوا بالغين في السن ، فلا يصح نوم الذكور بجوار الإناث ، وإن كان المكان ضيقًا فلتجعل لكل واحد منهم غطاء وينام مخالفًا لأخيه حتى يجعل الله بعد العسر يسرًا .

وعلى الأم المسلمة أن تعامل أولادها حسب أعمارهم وعقولهم ، فالطفل من سن يوم إلى سبع سنوات يحب اللعب واللهو وهذا مباح في حدود الشرع ، والطفل من سن سبع سنوات إلى أربع عشر سنة يجب أن يؤدب ويوجه وتأمره أمه وأبوه بالصلاة والمشاركة في عمل البيت ، والطفل من سن أربع عشر سنة إلى ما فوق ذلك تعلمه المشورة والاعتماد على العقل في إصدار القرار ، واتباع منهج القرآن والسنة ومشاورته في أمور الدراسة وزواج أخواته وشئون البيت ، وإذا أفسد الطفل شيئًا أو كسر إناءً فيجب أن نعاتبه عتابًا رقيقًا بعيدًا عن الضرب فإن الطفل في سن الصغر يحب المخالفة والعناد ، ولذلك قال رسول الله ﷺ «لا تضربوا أولادكم على كسر آنيتكم فإن للأواني أعمارًا» .

ويجب أن نشجع أولادنا على الرياضة كالجري والسباحة والفروسية والرماية حتى يكونوا أصحاء أقوياء . كما يجب على الأم المسلمة أن تقص على أولادها قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأن تبعد عن قصص الخرافات والعفاريت والأوهام الضالة المضلة ، وإن في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله ﷺ قصصًا مفيدة وعظاتٍ بالغةَ الأهمية مثل قصة أصحاب الفيل ، قصة البقرة ، قصة أهل الكهف ، قصة الهدهد مع سيدنا

---

(١) المغني لابن قدامة جـ ٩/١٩٥ .

سليمان ، وقصة ذبح سيدنا إسماعيل عليه السلام ، والقرآن الكريم مليء بالقصص الهادف النافع ، وعلى الأم المسلمة أن تعلم أولادها آداب الاستئذان فلا يصح للأبناء والبنات الدخول على الوالدين بغير إذن حتى لا يحدث حرج للوالدين وللأولاد ، وقد أمر الله عز وجل بذلك فقال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ [النور : ٥٨] ، وهذه الأوقات أوقات الراحة والنوم وهي ثلاثة : قبل الفجر ، بعد صلاة الظهر ، بعد العشاء إلى الفجر ، وكذلك يجب على المرأة المسلمة أن تعلم أولادها آداب الاستحمام فإذا بلغ الطفل أربع سنوات فلا يجوز للأم أو للأب أن يدخل دورة المياه مع ولده أو ابنته عاريين لكي تقوم الأم بغسل ولدها الصغير فيجب عليها أن تعلم ولدها الذكر أو الأنثى عندما يريد الاستحمام وهو في سن الرابعة من عمره أن يستر عورته فيتجرد من ثيابه كلها إلا ما يستر العورة إن كان الطفل يريد من أحد والديه أن يساعده في الغسل حتى يتعلم آداب الاستحمام والاغتسال ، ولكن معظم النساء لا تفطن لهذا فنجد المرأة تغسل ولدها وقد بلغ أكثر من عشر سنوات عاريًا دون حياء منه أو منها ، ولكن يجب أن نعلم أولادنا الحياء والأدب مع الوالدين .

آداب النساء مع الأهل والأقارب :-

يجب على المرأة المسلمة أن تحسن إلى أهلها إن زاروها وكذلك أهل زوجها حتى لا ينقلبوا عليها ، وأهل الزوج هم أبوه وأمه وإخوته وأعمامه ، ولكن لابد أن يكون الإحسان ابتغاء مرضات الله عز وجل أولاً وليس لإرضاء الزوج فقط ، كذلك يجب عليها أن تحسن إلى والديها وأقربائها كالعم والخال ومحارمها ، فلا تنشغل بنعيم الدنيا وزينتها عن إكرام أهل زوجها وأهلها حتى نغلق على الشيطان بابًا من أبواب الشر ، فقد يكون الزوج سماعًا لوالديه أو أعمامه فيحدث شقاق لعدم إكرامهم .

ولتعلم المسلمة أن الله عز وجل يجزي على الإحسان ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وكان النبي ﷺ يكرم أصحاب السيدة خديجة رضي الله عنها بعد موتها إكرامًا لخديجة رضي الله عنها .

فإن أبا الزوج وأمه بمقام أبيك وأمك فلا تتعالي عليهم وأكرمي نزوله خشية الهلاك ، ففي الحديث أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ذهب لزيارة ابنه إسماعيل عليه السلام (فجاء

إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يصيد لنا فسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بِشَرٍّ نحن في ضيق وشدة وشكت إليه قال إذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه) فلما جاء إسماعيل قال (فهل أوصاك بشيء قالت أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غَيِّرْ عتبة بابك ، قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك ألحقي بأهلك) فطلقها عليه السلام لأنها سيئة الخلق حتى مع الأهل ، ثم جاء سيدنا إبراهيم بعد مدة وسأل الزوجة الثانية (قالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله - فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه - قال ذاك أبي وأنت العتبة وأمرني أن أمسكك) (١) .

آداب النساء مع الضيوف :-

يجب على المسلمة أن تكون كريمة سخية نقية طاهرة ويجب عليها أن تحسن استقبال الضيوف النساء أما الضيوف الرجال فلا يقابلهم إلا الزوج أو الأولاد الكبار البالغون .

ولتعلم النساء المسلمات أن إكرامهن لضيوفهن المسلمات أو لضيوف أزواجهن فيه خير كثير ، فقد جاء في الأثر : إن الضيف إذا جاء جاء برزقه وإذا خرج خرج بذنوب أهل البيوت .. يعني أن الله عز وجل أرسله وله رزق عندكم في البيت وإذا خرج الضيف غفر الله عز وجل لأهل البيت ذنوبهم إكرامًا لحسن ضيافتهم .

وكان عمر رضي الله عنه إذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا أطعم ضيفًا أشبع ، لأن من فضائل الإسلام إكرام الضيف .

وقالت السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : والله لا يخزيك الله أبدًا فإنك تقري الضيف .. أي تكرمه وتحسن إليه .

وقال أحد الصالحين : إني أضع اللقمة في فم آخر وأشعر بطعمها في فمي ، وقال أحدهم لو أن الدنيا كلها في يد أخي لاستقللتها عليه .

ويستحب للمرأة المسلمة أن تجعل للضيوف حجرة خاصة حتى لا يحدث حرج لأهل البيت أو للضيف وقال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (٢) .

ويستحب للمرأة المسلمة عندما تجلس مع ضيوفها من النساء الصالحات أن تقدم

---

(١) رواه البخاري حديث (٣٣٦٤) .

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠١٨) ، ومسلم برقم (٤٧) .

أطيب ما عندها وأن تكثر الحديث معهن في طاعة الله عز وجل ولا تسمح أن يزورها إلا الصالحات ، ولا يجب عليها أن تتكلف أغلى ما عندها بل يستحب تقديم ما عندها للضيوف حتى لا تنفر منهن أو تكرههن ، ويجب إذا كان الضيف من النساء الصالحات عند خروجه أن تصحبه المسلمة إلى باب البيت في بشاشة وجه وسرور .

وعلى المسلمة إن جاء ضيف لزوجها أن تعد له المائدة والطعام السهل خشية أن يكون جائعًا أو جاء من سفر وسوف يرزقها الله خيرًا منه ، وقد ذَكّرَنَا الله عز وجل بحسن ضيافة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما جاءته الملائكة في صورة رجال صالحين قال الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود : ٦٩] .

وفي سورة أخرى قال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات : ٢٥ - ٢٦] وفاءً وإحسانًا لما قدمه نبي الله إبراهيم عليه السلام لضيوفه وقيام زوجته السيدة سارة بهذا العمل الكريم أكرمها الله عز وجل بمولود جعله نبيًا رغم أنها كانت عاقرًا لا تلد .

وقد جاء في التاريخ الإسلامي أن ابنة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه طلبت من أبيها أن يحضر الإمام الشافعي ضيفًا لتتعلم منه ، فلما حضر الإمام الشافعي رضي الله عنه ضيفًا عندهم أعدت البنت الطعام ولكنها لاحظت ثلاثة أمور عجيبة : رأت الشافعي أكل كثيرًا ونام ولم يصلي قيام الليل ، وقام وصل الفجر ولم يتوضأ ، فأخبرت أباها الإمام أحمد ابن حنبل عن هذه العيوب لأنها على علم وفقه ولا يليق بالعلماء هذا ، فأجاب الشافعي رضي الله عنه قائلاً : أكلت كثيرًا لأني عرفت أن طعامكم من حلال فاستكثرت منه لأنه شفاء ، ولم أقم الليل لأني كنت أتفكر في أمور المسلمين فأوجدت حلاً لاثنين وسبعين مسألة فتح الله علي بها وقمت وصليت الفجر ولم أتوضأ لأني لم أنم فلم ينتقض وضوئي .

آداب النساء مع الجيران :-

يجب أن تكون للمرأة المسلمة صفات حميدة طيبة تُعرف بها بين جيرانها وهذا نوع من الخلق الكريم ، وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (١) ، وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا : الجار أربعون دارًا .. ومن هذا نفهم أن الجار ليس من في جوار البيت أو في الدور العلوي أو الأسفل بل هو

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٠١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٢٤) .

أربعون من جهة الشرق وأربعون من جهة الغرب وأربعون من جهة الشمال وأربعون بيتًا من جهة الجنوب للتعارف والتآلف . والله عز وجل يقول : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] ، فيجب على المسلمة أن تتعرف على أخواتها المسلمات من جيرانها وتحسن إليهن وتكرم أخواتها المسلمات حتى يزداد الحب والأخوة بين النساء الصالحات .

ومن حق الجار على جاره المسلم أن يقرضه من ماله وأن يعينه على قضاء حاجته، وإن مرضت فيجب على المسلمة زيارة جارتها والتأدب بآداب زيارة المريض والدعاء لها والتخفيف عنها ، ويجب على المسلمة أن تشارك أخواتها المسلمات في أفراحهن وفي أحزانهن وأن ترسل إليهن بالهدايا فإن ذلك يطيب النفس ويشرح الصدر ، ولا يجوز لمسلمة أن تؤذي جارتها برائحة الطعام وإلا فلترسل لجارتها منه ، وإذا طلبت الجارة من المسلمة شيئًا فلتعطيها حتى لا تكون من الذين يمنعون الماعون ، فقد قال رسول الله ﷺ «يا عائشة من أعطى نارًا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ، ومن أعطى ملحًا فكأنما تصدق بجميع ما طيب ذلك الملح ، ومن سقى شربة ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيا نفسًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا» (١) ، في هذا الحديث يبين فضل المرأة المسلمة التي تعطي جارتها علبة كبريت أو كوبًا أو بعض حبات الملح وما يلزمها ، فلها عند الله أجر عظيم .

وقال ابن عباس : الويل لمن منع شيئًا من المتاع .

وقال أحد الصحابة : لا يشبع الرجل دون جاره .

وللجيران حقوق كثيرة يجب على كل مسلم ومسلمة مراعاتها ، فلا يليق بمسلمة أن تتجسس على جارتها لتعرف أخبارها وأسرارها ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] ، فقد جاء رجل لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : يا أبا ذر رأيت في قبر أختي آثار نار فكيف ذلك قال أبو ذر رضي الله عنه : اذهب واسأل أمك لعلها تعرف سبب ذلك ، فذهب الرجل لأمه وسألها عن سبب ذلك فقالت الأم : كانت أختك تصلي وتصوم وإذا جاء الليل وضعت أذنها على أبواب الجيران لتتجسس عليهم .

ويجب على كل مسلمة أن تكثر من الهدايا لجارتها ولو بقليل الطعام ، فإن الهدية تُذهِب الشحناء والحقد من الصدور وتربي الحب والود ولا سيما بين النساء ، قال رسول الله

---

(١) تفسير الطبري جـ ٧٣٠٥/٨ .

ﷺ : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» (١) .

ويجب أن يشعر الجار بالأمن فلا يجوز للمسلمة أن تحجب عن أختها الريح أو تمنعها من نشر الغسيل عندها ، وأن تحفظها في غيبتها ، قال رسول الله ﷺ «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» (٢) ، وإذا حافظت المرأة على حقوق جارتها وكانت تعاملها معاملة حسنة وتلقي عليها السلامَ لأصبحت المجتمعات آمنة هادئة مطمئنة ، وقد كان سيدنا داود عليه السلام يستعيذ بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرًا كتمه وإذا رأى شرًا أذاعه ، فينبغي على المسلمة أن تكون أسوة لجارتها المسلمة ، ولتحذر أن تمنح واحدة دون الأخرى من الجارات ، أو تغتاب واحدة أمام واحدة من النساء فإن بعضهن غير مأمونات .

وأختٌ لكِ في الإسلام كلما لقيتك ذكرتك بالله خير من أن تلقاك وتعطيك مالاً فإن ذكر الله خير وأبقى .

ومن أدب النساء المسلمات مع جيرانها أن زوجة مسلمة اشتكت لزوجها أن في بيتها حشرات ضارة من الفئران ، فقال زوجها : اشتري هرة لتقتلهم ، فقالت المرأة المسلمة : أخشى أن تفر الفئران فتؤذي الجيران .. فهذه المرأة نظرت لجيرانها قبل أن تنظر لنفسها فرضي الله عنها .

* * *

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٢٥) .
(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٣٤٢) حديث حسن .

الفصل الثالث

آداب النساء عند الخروج

آداب الطريق :

إن الله تبارك وتعالى جعل للنساء آدابًا عند الخروج من البيوت حتى لا يتسببن في الفتنة أو الفساد الأخلاقي للرجال ، فأمر الله عز وجل المرأة المسلمة أن تلتزم بالزي الشرعي الإسلامي ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] ، ففي هذه الآية عدة توجيهات إسلامية : منها ان المرأة المسلمة يجب عند خروجها أن ترتدي الزي الشرعي : وله شروط ثمانية :

١- أن يستر جميع البدن .
٢- أن يكون صفيقًا غير شفاف .
٣- أن يكون فضفاضًا واسعًا .
٤- لا يكون به طيب أو مسك .
٥- لا يشبه ملابس الرجال .
٦- لا يشبه لباس الكافرات .
٧- لا يكون زينة في ذاته (ألوانه مقبولة غير صارخة) .
٨- لا يكون لباس شهرة (كلباس الملوك المطعم بالجواهر) .

ويجب على المرأة أن تعلم أن رنة الخلخال حرام ، وكذلك الضرب بالأرجل بالكعب العالي ؛ لأن الله يقول : ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] ، وقالت أم المؤمنين عائشة : فإذا لبست المرأة ثيابها وأخذ ثوبها يلمس الحصى استغفر

لها الحصى ربها .

فإذا خرجت المسلمة من بيتها فيجب عليها أن تمشي على جانب الطريق وليس في وسطه ، وكانت النساء تتمزق ثيابهن من الأكتاف من كثرة التصاقهن بالجدران أثناء السير ، ولهذا قال الرسول ﷺ للنساء عندما رآهن يمشين في وسط الطريق «استأخرن ، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق» (١) .

ومن آداب الطريق التي يجب على كل مسلمة أن تراعيها :

١- عدم الأكل أو الشرب في الطريق العام أمام الناس أو مضغ اللبان .
٢- عدم الضحك أو القهقهة في الطريق .
٣- عدم الانحناء لتناول الأشياء أمام الناس حتى لا تظهر عورتها .
٤- عدم المشي بسرعة أو ببطء شديد فكلاهما خطأ ، وليس من صفات المسلمة .
٥- عدم رفع الصوت أو سب الأطفال في الطريق حتى لا يحدث فتنة بتدخل الرجال .
٦- عدم تعليق السلاسل على الصدر وإن كانت محجبة فإن ذلك من الفتنة .
٧- عدم وضع الطيب أو الرائحة الذكية في ثيابها أثناء السير ولو كانت ذاهبة إلى المسجد ، وعن رسول الله ﷺ قال : «ما من امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فلا يقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل» (٢) ، ويقول ﷺ «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية» (٣) .

آداب الحديث مع الناس :

قد تخرج المرأة المسلمة للصلاة أو لشراء حاجتها من الأسواق وأماكن البيع ، ولكن الإسلام جعل للمرأة المسلمة ضوابط شرعية حتى تلتزم بها ، فلا تكون هي سببًا للفتنة أو الفساد في الأرض .

فيجب على المرأة المسلمة عند حديثها مع البائعين أو التجار أن يكون كلامها جادًا بعيدًا عن الميل والخضوع في القول ، كما قال الله عز وجل : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، والقول المعروف هو الكلام المعتدل المفيد الذي لا شبهة فيه ولا رنة ولا نغمة ، وخير الكلام ما قل ودل بدون تطويل

---

(١) رواه أبو داود برقم (٥٢٧٢) وإسناده ضعيف .
(٢) كنز العمال جـ ٤٥٠٦٨/١٦ .
(٣) رواه الترمذي برقم (٢٧٨٦) بمعناه وهو حديث حسن صحيح .

أو مط في الكلام .

ولذلك فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن امرأة من المسلمات تتحدث مع الرجال فأرسل إليها ليمنعها فجاءها المخاض من هيبة عمر رضي الله عنه وكَفّتْ عن ذلك .

وقال أحد الصحابة رضي الله عنه : ليس للنساء سلام ، بمعنى أنها لا تسلم على الناس كلما قابلت أحدهم ، ولا يجوز للمرأة أن تقعد وسط الرجال في الخلاء ولا تنحني عندهم ، ولا يجوز للمسلمة أن تتحدث مع أحد في السيارات العامة ما لم يكن محرمًا لها ، فلا تلتقط الحديث في الأتوبيس أو القطار لتظهر للناس ثقافتها وعلمها ، ولا يجوز لها أن تركب سيارة خاصة مع أحد لا تعرفه من أجل قضاء حاجتها ، وكذلك فإن المسلمة لا تكثر الحديث مع البقال أو بائع اللبن أو المكوجي عندما يحضر لها شيئًا لبيتها ، وإن حدث فلابد أن تقابلهم بالحجاب الشرعي ، ولا يجوز للمرأة المسلمة أن تأذن لبائع الذهب أن يمسك يدها لوضع الأساور فيها أو يلمس أذنها لثقبها للحلق ، ولا يجوز لها أن تأذن لبائع الأحذية أن يمسك رجلها لضبط مقاس الحذاء عليها فإن ذلك فتنة وحرام .

وقد ورد أن معاذ بن جبل رضي الله عنه رأى زوجته أعطت للغلام الخادم عندهم تفاحة قد أكلت منها فضربها وقال : إما أن تعطيه ثمرة كاملة أو لا تعطيه فإنه ينظر إلى موضع أسنانك فيفتتن بك .

تلك هي غيرة الرجال وآداب النساء في السمع والطاعة لأزواجهن ، فيا ليت القوم يعلمون سيرة هؤلاء الصالحين .

وقد كان الإمام علي رضي الله عنه يغار على زوجته فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ من وجود السواك في فمها وقال :

وحَـظِـيـتَ مِـنّي بثغـرها ... أما خشيتَ يـا عـودَ الأراك أَراكَ
وقـد لـوكنتَ تقتل ما قتل ... مني - يـــا ســواك - سواك

عمل النساء :

إن الإسلام حرم العمل على المرأة إلا فيا يخص أمر النساء فيجوز للمرأة المسلمة أن تعمل مدرسة لتعلم النساء والبنات ، ويجوز لها أن تعمل طبيبة لتداوي النساء ويدخل تحت مهنة الطب القابلةُ (التي تقابل المولود عند نزوله) ، ويجوز لها أن تخيط ثياب النساء وأن تزين النساء زينة شرعية كما أباحها الإسلام ، كما يجوز للمرأة المسلمة أن تتاجر بأموالها وأن توكل أمينًا على مالها كما فعلت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله ، وأيما امرأة كَسَتْ زوجها من مغزلها كان لها بكل لبسة على بدنه ألف حسنة .

وكانت السيدة هاجر رضي الله عنها أم سيدنا إسماعيل عليه السلام تسعى لطلب الرزق للضرورة ؛ لأنها لم يكن معها من يعولها فيجوز للمرأة الخروج للعمل عند الضرورة عند عدم وجود من يعولها أو يقوم على خدمتها ، ويشترط أن يكون العمل يرضى الله عنه عز وجل .

وكذلك المرأتان الصالحتان اللتان ذهبتا لإحضار الماء من البئر ، وكان على البئر جماعة من الناس فسقى لهما نبي الله موسى عليه السلام ، فلما سقى لهما سألهما عن سبب خروجهما للعمل وهما من النساء فأجابتا : ﴿ لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] ، فقد خرجت المرأتان لإحضار الماء ولكنهما لم تزاحما الناس ولم تعرضا نفسيهما للحرج والفتنة . وقد عرفنا أن بعض الطالبات المسلمات يذهبن إلى الجامعة لتلقي العلم سيرًا على الأقدام حفاظًا على حيائهن وحتى لا يؤذيهن بعض الراكبين أصحاب النفوس المريضة .

وخير عمل للمرأة المسلمة في بيتها ، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : إذا غسلت المرأة ثياب زوجها استغفرت لها الملائكة وحملة العرش حتى يجف الثوب .

وعادة النساء قديمًا العمل بالغزل في البيوت حتى لا يتعرضن للخروج خشية الفتنة.

وجاءت امرأة صالحة تعمل بالغزل في بيتها ولكنها تبحث عن الحلال - وإن كان قليلاً ، إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قالت : إني أطفىء السراج وأغزل على ضوء القمر عند البيع أميز هذا عن هذا ؟ قال : إن كان بينهما فرق ميزي للمشتري .. تقصد أنها تبيع الغزل الذي غزلته على ضوء القمر أقل في السعر من الغزل الذي غزلته على ضوء السراج ؛ لأن ضوء القمر لم تدفع فيه ثمن فيضاف على ثمنا الغزل ، وهذا من باب البحث عن الحلال .

وجاءت أختها للإمام أحمد وقالت : تمر بنا مشاعل السلطان وهو ظالم ونحن نغزل على ضوئها ، فأمرها أن تتصدق بالغزل ؛ لأنه لا يجوز الاستفادة أو الاستعانة بنار الظالمين .. وفي ختام الحديث قال الإمام أحمد بن حنبل لهم : من بيتكم خرج الورع (١) .

وجاء رجل إلى الإمام مالك رضي الله عنه قال : إن أمي تزين النساء أفآكل من

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢٩٨/١٠ .

رزقها ، فقال الإمام مالك للرجل : إن كانت أمك تصل شعر النساء فلا تأكل من رزقها فإنه حرام ؛ لأن النبي ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة .

وعلى هذا فعمل المرأة المباح مثل أن تزين النساء ولكنها لا تغير في خلق الله عز وجل مثل التي تقوم بتركيب الشعر المستعار أو من تفلج الأسنان للنساء أو تقوم بالوشم ورسم الرسوم على الوجه والأيدي كما يفعل النساء الأجنبيات .

أما بالنسبة لعمل المرأة في الطب فيجب أن يكون موافقًا للشرع فلا تبيح الإجهاض ولو كانت الحامل زانية فليس لها سبيل على ما في بطنها ، والله عز وجل يقول : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء : ١٥] ، ولا يجوز كذلك الأمر بإسقاط الجنين من أجل تحديد النسل ؛ لأن ذلك يعتبر وأدًا خفيًا أي قتلاً خفيًا يعاقب عليه الله عز وجل ، وعلى الطبيبة المسلمة أن تصف الدواء النافع ولا تبالغ في كشف العورات .

وأما التدريس فالمرأة يجب أن تتقي الله عز وجل في البنات والأولاد في تعليمهن ، وعليها أن تجعل في نظامها الدراسي اليومي جزءًا للدين ، وأن تطعم تلاميذها بالدين في وسط الدروس العلمية حتى لا يكون العلم جافًا خاويًا من القيم والأخلاق الحميدة .

وواجب على النساء أن تخيط الثياب للنساء فلا يجوز للمسلمة الذهاب لرجل خياط يخيط لها ثيابها .

* * *

الفصل الرابع

التقوى عند النساء

إن المرأة المسلمة إن خافت من ربها عز وجل والتزمت بأوامره واجتنبت معاصيه أبدلها الله عز وجل بالخوف أمنًا وبالفقر غنى وبالذل عزة وبالهوان إحسانًا ، والله عز وجل يقول : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٢-٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر : ٦١] ، ويقول عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقال سبحانه : ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

من الآيات السابقات وإن كان القرآن الكريم مليء بالكنوز الذاخرة والجنات العامرة والعظات البالغة التي تشرح الصدر وتطمئن النفس بأن التقوى هي السلاح الأقوى في الصراع ضد الشيطان ومكايده ووساوسه ؛ لأن الشيطان يزين السوء والقبيح أمام الناس والمجتمع ويدفعهم إلى ارتكاب المعاصي سواء كانت بالفاحشة أو الإثم والبغي والظلم والفجور، ولكن التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم والسيرة العطرة تذكرنا بأن هناك نماذج من النساء باعت الدنيا واشترت الآخرة ، هؤلاء النسوة يعجز اللسان والبيان عن وصفهن ، ولكن الله عز وجل أعطاهن خيرًا مما يظن الناس وأكرمهن بأفضل ما يعطي الناس حتى يطمئن كل مسلم ومسلمة إلى نتيجة التقوى ، فإن التقوى لا تأتي إلا بكل خير ، وثمار التقوى طيبة سريعة الازدهار وفي التقوى خير للمسلم وذريته .

التقوى في الرزق :

كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو قائد المسلمين يتفقد ويتحسس أحوال الرعية ليلاً ليطمئن عليهم وأدركه التعب ، فجلس بجوار بيت من بيوت المسلمين فسمع صوت امرأة تخاطب ابنتها وتقول : هيا يا ابنتي أحضري الماء لتضعيه على اللبن ، فقد نام الناس ونام عمر ، فقالت البنت التقية المؤمنة : يا أماه إن كان عمر قد نام فإن رب عمر لم ينم .

وكاد عمر رضي الله عنه أن يغشى عليه مما سمع ، فقام مسرعًا بعد أن عرف البيت فذهب إلى بيته ، وفي الصباح أحضر بنت بائعة اللبن وقال لأولاده : من منكم يتزوج بنت بائعة اللبن ، فسكتوا جميعًا - فقال - عمر : لئن لم يتزوجها أحدكم تزوجتها أنا ، ثم زوجها لابنه عاصم مكافأة لها على تقواها وخوفها من ربها في السر قبل العلانية فأنجبت بنتًا اسمها ليلى فتزوجها عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان فأنجبا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : جدتي بنت بائعة اللبن فخرًا وشرفًا لأنها تقية مؤمنة .

إن هذه المؤمنة الصادقة اتقت ربها بين جدران بيتها ، فأكرمها الله عز وجل بزوج صالح هو ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وخرج من ذريتها ذرية صالحة ملأت الأرض عدلاً ورحمة وعلمًا وبركة ، فكفاها فخرًا وشرفًا والله عز وجل يقول : ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف : ٣٠] ، وقال عز من قائل : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل : ٩٧] .

التقوى في البيت :

إن المرأة إذا أحسنت عشرة زوجها وأولادها نادى عليها منادٍ يوم القيامة : أيتها المرأة الصالحة ادخلي الجنة من أي باب من الأبواب الثمانية شئتِ .

ومعنى الإحسان أن تحافظ على عرضها وعلى زوجها فلا تخونه في نفسها ولا في ماله ولا في ولده ، فإن فعلت ذلك كانت عند الله أفضل من الحور العين . فقد روى أن رسول الله ﷺ قال : «إن الحور يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها فيقلن : نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ، ونحن الخالدات فلا نموت أبدًا ، ونحن الناعمات فلا نَبْؤُس أبدًا ، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام» (١) ، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا : نحن المصليات وما صَلَّيْتُنَّ ، ونحن الصائمات وما صُمْتن ، ونحن المتوضئات وما توضأتن ، ونحن المتصدقات وما تصدقتن ، فقالت عائشة رضي الله عنه : فَغَلَبْنَهُنَّ واللهِ . ومن هذا الحديث القيم العظيم يتبين قيمة وقدر المرأة المسلمة الصالحة فهي تحاج الحور العين في الجنة بالتقوى وتفاضلها

(١) أخرجه الترمذي برقم (٥٦٤) .

بالعمل الصالح في الدنيا [١] .

والتقوى لا بد أن تكون في كل مكان وزمان من المرأة المسلمة لأن المعصية ذل وهوان والتقوى سعادة وأمان وفلاح ورضوان .

ولذلك لما أرادت امرأة العزيز في مصر أن تدعو نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام إلى الفاحشة فأبى واستعصم بالله عز وجل ، ومرت الأيام فأصبح سيدنا يوسف عليه السلام يملك خزائن مصر وأصبحت هي ذليلة ومهانة بعد أن كانت تعيش في القصور بين الفراش اللين والأموال المضاعفة فنظرت من بيتها الصغير فرأت نبي الله يوسف عليه السلام على خزائن مصر يوزع الخيرات والناس حوله فرحين قالت : سبحان من جعل الملوك عبيدًا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكًا بطاعتهم [٢] .

ومرت أيام وشهور وتزوجت هذه المرأة سيدنا يوسف عليه السلام وألقى الله عز وجل في قلبه من المحبة أضعاف ما كان في قلبها ، ولكنها بعد أن حسن إسلامها كانت تنشغل بقيام الليل كثيرًا عن فراشها ، فلما سألها نبي الله يوسف عليه السلام عن ذلك قالت : لما ذقت محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء [٣] .

حقًا إنها ذاقت ألم المعصية وذاقت حلاوة الإيمان فكانت لا تنام من الليل إلا قليلاً وتقول : كيف ينام من عرف أن حبيبه وربه لا ينام ... نعم : كان قلبها قبل ذلك مشغولاً بالشر والشهوة فلما ذاقت حلاوة الإيمان تعلق قلبها بحب الله رب العالمين فلم تشعر بلذة النوم، ولذلك فإن كثيرًا من الفنانات التائبات عرضت عليهن أموال كثيرة للعودة إلى الفن فأبين بعزة وصلابة وتقوى وإخلاص .

وفي عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يمر ليلاً يتفقد أحوال الرعية فوقف بجوار بيت يستريح فسمع امرأة تقول :

لقد طال هذا الليلُ وازوَرَّ جانبه ... وأرقني إلا حبيبٌ ألاعبه

فوالله لولا الله تُخشَى عواقبه ... لحُرِّكَ من هذا السرير جوانبهُ

فانتبه عمر لكلام المرأة وفهم من كلامها أنها تعيش وحيدة لا زوج معها وتخشى على نفسها الفتنة وهي تخاف من ربها ، ولولا خوفها وتقواها لفعلت ما وسوس لها به الشيطان فأرسل عمر رضي الله عنه في الصباح إلى المرأة يستخبرها ويعرف سبب ذلك ، وأرسل إلى

(١) تفسير القرطبي جـ ٦٣٥٧/٧ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٣٤٤٤/٤ .
(٣) تفسير القرطبي جـ ٣٤٤٤/٤ .

ابنته حفصة رضي الله عنها وهي أم المؤمنين لأنها تزوجت من رسول الله ﷺ ، فقال عمر رضي الله عنه : يا حفصة ، كم تستطيع المرأة أن تصبر على فراق زوجها ؟ فلم تجب عليه حياء منه ، فقال : يا حفصة أجيبيني فأنت ابنتي وأمي ؛ لأنك زوجة رسول الله ﷺ فقالت حفصة : أربعة أشهر وسأل عمر رضي الله عنه المرأة أين زوجك ؟ قالت : إنك بعثت به إلى العراق مع الجنود ، فجعل عمر رضي الله عنه مدة غزو الرجل أربعة أشهر إذا مضت استرد الغازين ووجه بقوم آخرين (١) ، وتقوى هذه المرأة الصالحة كانت سببًا لإصلاح شأن جنود المسلمين في عهد عمر رضي الله عنه فلا تطول المدة بالجيش فينقطعوا عن أهلهم فتحدث فتنة لهم ولأهلهم .

وفي عهد رسول الله ﷺ قام أحد الصحابة رضي الله عنه بطلب زوجته للفراش ولكنها كانت تصلي فطلبت منه أن ينتظر فغضب وقال لها : أنت علي كظهر أمي ، وكانت أول مرة تحدث هذه المسألة في مجتمع المسلمين ، فذهبت المرأة المسلمة التي تحافظ على بيتها وتحنو على أولادها وتحب زوجها إلى رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله (٢) : أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني - وفي رواية قال : أنت حرام علي كظهر أمي ، قال رسول الله ﷺ : حَرُمْتِ عليه ، قالت يا رسول الله : إن لي منه أولادًا صغارًا إن ضممتهم إليَّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا : فقال رسول الله ﷺ : حرمت عليه ، فقالت والله لا أشكو إلا لله فنزلت الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة : ١] ، وجعل الله عز وجل الفرج سهلاً قريبًا لخوف هذه المرأة الصالحة من ربها والمحافظة على بيتها ومجادلتها بالحق بعيدًا عن الباطل والكذب والفسق .

وهكذا نجد أن المرأة المسلمة إذا اتقت ربها رزقها رزقًا واسعًا مباركًا سريعًا بأوفر وأكثر مما تتمنى وأبدلها الله خيرًا مما تطلب وتتمنى ، والله عز وجل يقول في الحديث القدسي الجليل : «يا ابن آدم إن رضيت لي بما أنا أريد رضيت لك بما أنت تريد وإن لم ترض لي بما أنا أريد لم أرض لك بما أنت تريد ، وأتعبتك فيما تريد ، ولا يكون إلا ما أريد» ، فمن الواجب أن نرضى بالقضاء والقدر ونتوكل على الله عز وجل ونأخذ بالأسباب وسوف يفيض الله علينا بكرمه وفضله وإحسانه .

وفي عهد رسول الله ﷺ قامت امرأة مسلمة بعمل شرعي إيماني لا يقوى عليه إلا

(١) تفسير القرطبي جـ ٩١٦/١ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٦٤٤٠/١ .

أهل الإيمان وهي الصحابية الطاهرة أم سليم ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قائلاً : كان لأبي طلحة ابن يشتكي (المرض الشديد) فخرج أبو طلحة فمات الصبي فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم هو أسكن ما كان ، فقربَتْ إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها ولما فرغ (أي من الجماع) قالت : وار الصبي (ادفنه) فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : أعرستم الليلة ؟ فقال : نعم ، قال رسول الله ﷺ اللهم بارك لهما في ليلتهما فولدت غلامًا [١] ، وفي رواية أخرى : قال رجل من الأنصار : فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن أي حفظ القرآن الكريم [٢] .

ومن فوائد هذا الحديث نعرف قوة إيمان هذه المرأة واستخدامها للمعاريض عندما قالت لزوجها : وار الصبي بعد أن أخذ حظه من المعاشرة ومعناها ادفنه ، وقالت : «هو أسكن» يعني استراح من عناء الدنيا ومن ذنوبها وقد ظهر صبرها فأصلح الله لهما ذريتهما ، فرزقها تبارك وتعالى بتسعة أولاد كلهم قد حفظ القرآن الكريم وصاروا علماء وأمراء ببركة صبر الأم المؤمنة على ما أصابها من بأساء وضراء ، وأما أولادها التسعة فهم : إسحاق ، إسماعيل ، عبد الله ، يعقوب ، عمر ، القاسم ، عمارة ، إبراهيم ، عمير .. رضي الله عنها وعنهم .

فهل تستطيع امرأة مسلمة اليوم أن تتحكم في قلبها وعقلها ولا تشعر زوجها بالآلام والأحزان التي نزلت بها من أهلها أو جيرانها حتى يقضي حاجته من طعام وشراب وشهوة ، ويعبد ربه عز وجل ثم تفضي له بالحديث الذى تريد .. يا ليت النساء تتشبه بمن تربوا على يدي رسول الله ﷺ فإن الإيمان يصنع المعجزات والأعاجيب التي تحير العقول والأفهام .

* * *

(١) فتح الباري جـ ٥٠١/٩ .

(٢) فتح الباري جـ ٢٠٢/٣ .

الفصل الخامس

الذكاء عند النساء

إن المرأة المسلمة إذا تمسكت بشرع الله عز وجل واتبعت سنة رسوله ﷺ جعل الله لها نورًا في سمعها وبصرها وقلبها والله عز وجل يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال : ٢٩] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد : ٢٨] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠] .

وهذا النور يكون مع المسلمة في حياتها يضيء لها حياتها ويطمئن قلبها ويبارك في سيرتها ويحفظها من شياطين الإنس والجن فتكون في سعادة وأمان لا يشعر بهما إلا من كان مثلها ، وتنطلق الحكمة من أفواههن وتخرج الهداية من صدورهن تسكن الآلام والجراح وتشرح الصدور لمن أراد أن يتزود بالتقوى .

السعادة الحقيقية :

كانت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تجلس ذات يوم في حجرتها فدخلت عليها السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ : فقالت السيدة فاطمة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين عائشة أنا بضعة من رسول الله ﷺ . وهي تريد بذلك تَمُنّ وتُعْلِمَ السيدة عائشة أنها بذلك أصبحت ذات فضل كبير ، فسكتت السيدة عائشة رضي الله عنها لحظة ، ثم قالت : يا فاطمة ، نعم أنت بضعة من رسول الله ولكن يوم القيامة تكون المرأة مع زوجها فتكونين أنت مع علي بن أبي طالب وأنا مع النبي ﷺ فأيهما أعلى مقامًا .. فضحكت السيدة فاطمة وقالت لا أحاجك بعد اليوم أبدًا وقبلت رأسها وقالت يا ليتني شعرة في رأسك .

ونعم العبرة بالسعادة الحقيقية وهي في الجنة وليست في الدنيا وهذا من ذكاء السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها .

السعادة المحمودة :

كان الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق جبارًا وطاغية وظالمًا ، وكان يقتل العلماء وأولادهم وأهلهم ويترك النساء ، وذات يوم كان الحجاج الطاغية يمر على الناس قبل قتلهم وهم في ساحة الأحكام فوجد امرأة تبكي بكاء شديدًا فسألها لِمَ تبكين أيتها المرأة ؟ قالت : لأن ثلاثة من أهلي سيقتلون اليوم ، قال الحجاج : ومن هؤلاء الثلاثة ؟ قالت المرأة : هم زوجي وأخي وابني ، قال الحجاج : عفوت عن واحد منهم فاختاري ما تشائين ، قالت : أختار أخي ، فتعجب الحجاج منها وقال كيف تختارين أخاك وتتركين ابنك وزوجك ؟ قالت إن الزوج موجود ، والابن مولود ، والأخ مفقود ، قال كيف ذلك ؟ قالت إن الزوج إن قتل فهناك غيره ، والابن إن قتل ولدت غيره ، ولكن الأخ إن قتل لا أجد غيره لأن الأم قد ماتت ، قال الحجاج : إكرامًا لحسن جوابك عفوت عن الثلاثة جميعهم .

وهكذا يكون استخدام العقل عند المرأة مفيدًا ونافعًا وفيه النجاة ولا تستعجل للحكم بالهوى حتى لا تهلك نفسها ومن معها .

وهذه ملكة سبأ بلقيس في سورة النمل لما سألها سليمان عليه السلام عن عرشها ، قال الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل : ٤٢] ، إنها لم تستعجل في الإجابة وكانت الإجابة وسطا بين أمرين هما النفي والإيجاب حتى تشغل وتحير من يسألها ، ونحن نريد من النساء المسلمات أن يستخدمن عقلهن حتى ترفرف السعادة على البيوت وتعم البيوت رائحة التقوى .

الحب الأصلي :

اختلفت امرأتان في طفل صغير وادعت كل واحدة أن الطفل ابنها فذهبتا لنبي الله سليمان عليه السلام ، فقال ائتوني بالسكين فقالت المرأة الصغرى : لماذا يا نبي الله سليمان ؟ قال أشقه بينكما نصفين ؟ فقالت المرأة الصغرى لا تذبحه فإنه ولدها .. فقال نبي الله سليمان : بل هو ولدك أنت لأنك خِفتِ عليه من الموت وطلبتِ له الحياة مع غيرك ولا يموت أمام عينك فإن هذا الحب هو الأصيل ، نعم فهم ذلك نبي الله سليمان عليه السلام لأن المرأة الكبرى لم تتكلم ولم يتحرك قلبها بالرحمة على الصبي الذي سيذبح ، والحب الأصيل من الأم يجعلها مفجوعة على ولدها ولا ترضى له الضراء والسوء (١) .

---

(١) الحديث بمعناه جـ ٥٢٨/٦ فتح الباري .

الفصل السادس

الفصاحة عند النساء

إن المرأة المسلمة إذا داومت على حفظ وقراءة القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ زادت علمًا وإيمانًا وفصاحة وبيانًا ؛ لأن القرآن الكريم يقوي اللسان ويقومه على تعليم اللغة العربية وهي لغة القرآن ولغة أهل الجنة وهي أعظم لغة ولو أن هناك لغة أفضل منها لنزل بها القرآن الكريم ، والله عز وجل يقول : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف : ٢] ، ويقول عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف : ٣] ، ولذلك كانت النساء الصالحات يقرأن القرآن الكريم والأحاديث النبوية فتتأثر بها ألسنتهن وقلوبهن ، فكانت النساء تنطق بالفصاحة والكلام البليغ البديع الذي ترتاح له الآذان وتشبع منه النفوس ولا سيما عندما تخاطب المرأة المسلمة أختها أو أمها أو زوجها أو المحارم في منزلها ، وبذلك نشأت الأجيال ذات بيان وفصاحة بالشعر والأدب بعد أن شبعت من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الأمر بيد الله :

كان في إحدى القرى رجل صالح لم يرزق ذرية ذكورًا ، وكانت شهرته أبو حمزة (حمزة اسم من أسماء الأسد) ، وأراد هذا الرجل أن يتزوج على امرأته زوجة جديدة ؛ لأن زوجته لا تنجب ذكورًا وإنما تنجب إناثًا ، وظن أن هذا الإنجاب منها فذهب ليتزوج من بنت الجيران فعلمت زوجته الأولى فقالت :

ومـا لأبـي حـمـزة لا يـأتينا ... ويـدخل البيت الـذي يلينا
غضبـان ألا نلـــد البنينـــا ... فوالله مـا هــذا بعيب فينا
فنحن كـــالأرض لزارعينــا ... نُنبت مـــا يوضـــع فينـــا

سمعها زوجها فقال آمنت بالله لا أطلقت ولا أتزوج عليك .

* * *

نعم ، فصاحة وأدب وعلم وفقه وحكمة وعفاف لم يُؤْذِهِ وفي شعرها وكلامها علم وحكمة وفصاحة وبيان ، جعلت الزوج يستحي منها ويعود إليها راضي النفس مطمئن القلب .

الاستشهاد بالقرآن :

قال أحد الصالحين : كنت على جبل عرفات في الحج فسمعت امرأة وهي تقول : ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٨] فعلمت أنها ضالة ، فقلت : أيتها المرأة من أين أقبلت ؟ قالت يقول الله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء : ١] فعلمت أنها من القدس ، فقلت ما الذي جاء بك ؟ قالت إن الله يقول : ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران : ٩٧] ، فقلت ألك زوج ؟ قالت إن الله يقول : ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، فقلت لها أتركبين بعيري ؟ قالت إن الله يقول : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، فلما أرادت الركوب قالت إن الله يقول : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور : ٣٠] قال : فأعرضت عنها ، فلما ركبت قلت لها ألك أولاد ؟ قالت إن الله عز وجل يقول : ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] ، فقلت لها : ما أسماؤهم ؟ قالت : قال الله عز وجل : ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤] ﴿وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء : ١٢٥] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص : ٢٦] ، فقلت لها : وأين أجدهم ؟ فقالت إن الله يقول : ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦]، فعلمت أن أولادها أدلة الركب ، فقلت ألا تأكلين شيئًا قالت إن الله يقول : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم : ٢٦] ، فلما وصلنا إليهم بكوا عندما رأوها فقالت ألم تعلموا أن الله يقول : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف : ١٩] ، وقالوا إنها ضلت الطريق منذ ثلاثة أيام ، ثم رآهم الرجل الصالح يبكون بعد ذلك فسألهم فقالوا إنها في النزع الأخير فدخل عليها وسألها عن حالها فقالت : ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق : ١٩] ، فلما ماتت تلك الليلة رآها في المنام وقال : أين أنت ؟ قالت إن الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ - ٥٥] .

إن هذه المرأة قل أن يوجد مثلها في تلك الأيام ؛ لأن النساء قلت الفصاحة

عندهن وأصبحن يحفظن الأغاني والأفلام والمسلسلت أكثر من غيرها إلا ما رحم ربي .

فصاحة النساء من التاريخ والسنة :

ومن فصاحة النساء المسلمات ما يثير العجب في عقول المسلمين العلماء ، فقد جاءت امرأة مسلمة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقالت يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله ، فقال عمر رضي الله عنه : بارك الله لكِ فيه ، ثم جاءت المرأة مرة أخرى وقالت : يا أمير المؤمنين : إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال عمر : بارك الله لك فيه ، نِعْمَ الزوجُ زوجك ، فجعلت المرأة تكرر عليه القول ويكرر عليها الجواب .. فقال كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه ، فقال عمر : كما فهمتَ كلامها فاقْضِ بينهما ، فقال كعب : عليّ بزوجها ، فجاء الرجل فقال كعب : إن امرأتك هذه تشكوك . قال الرجل : في طعام أو شراب ؟ قال : لا .. فقال كعب : إن لها عليك حقًّا تصيبها في أربع لمن عقل فأعطها ذاك ودع منك العلل لك ثلاثة أيام تعبد ربك فيها ولها يوم تعطيها حقها فيه (١) .

نعم هذه المرأة المسلمة تملك الحياء والفصاحة والعفة والطهارة ، فيا ليت النساء يفقهن هذه الأمور ولا يفشين أسرار بيوتهن مع أحد من الناس سواء كانوا رجالاً أو نساءً .

لقد كانت المرأة تملك قوة في عقلها وقلبها وتغار على زوجها وأهلها مهما كانت الأمور .

وقد اشتهر في كتب التاريخ نساء كثيرات بالفصاحة والشجاعة ومنهن : أم قرفة امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري كانت تعلق في بيتها خمسين سيفًا كل سيف منها لذى محرم لها ، لتربيتهم على الفضيلة والرجولة والبطولة (٢) .

ومن فصاحة النساء ما ذكر في كتب الأحاديث الصحيحة هو حديث طويل نوجزه مختصرًا يدل على فصاحة المرأة وثقافتها رغم حياتها في مجتمع عربي صحراوى يدوى ليس كمجتمع اليوم .

حديث أم زرع : قد جاء في الحديث :

قالت السيدةُ عائشة رضي الله عنها : جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا .

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٥٨٩/١ .

(٢) حياة الحيوان للدميري جـ ٤٣٩/٢ .

قَالَتِ الأُولَى : زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، لا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى ، وَلا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ .

قَالَتِ الثَّانِيَةُ : زَوْجِي لا أَبُثُّ خَبَرَهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لا أَذَرَهُ ، إِنْ أَذْكُرْهُ : أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ .

قَالَتِ الثَّالِثَةُ : زَوْجِي العَشَنَّقُ ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ ، لا حَرٌّ وَلا قُرٌّ ، وَلا مَخَافَةَ وَلا سَآمَةَ .

قَالَتِ الخَامِسَةُ : زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ ، وَلا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ .

قَالَتِ السَّادِسَةُ : زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ ، وَإِنِ اضْطَجَعَ التَفَّ ، وَلا يُولِجُ الكَفَّ لِيَعْلَمَ البَثَّ (١) .... الحديث .

والحديث يدل على فصاحة النساء وحسن ذكرهن في أدب عن أمور الزوجية ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى الحديث في صحيح البخاري . وفي هذا الجزء من الحديث نجد الآتي :

الأولى : زوجها أخلاقه صعبة شبهته بلحم لحم الجمل لا يساعد على الخير .

الثانية : تخاف من ذكر أمور زوجها لأنه كثير العيوب .

الثالثة : تذكر أن زوجها طويل بغير نفع لو تكلمت سيطلقها وإن سكتت تظل معلقة .

الرابعة : زوجها لين الجانب ولس فَظًّا ولا تكره العشرة معه فهو معتدل .

الخامسة : زوجها عنده حياء شديد كالفهد وهو بين الناس أسد وكريم لا يسأل عما تم إنفاقه .

السادسة : زوجها عندما ينام ينام وحده وعند الأكل يأكل من كل الأصناف وإذا شرب شرب الماء كله .

فهذه نماذج من فصاحة النساء ذكرتها كتب السنة . والتاريخ مملوء بذكر النساء الصالحات اللاتي حفظن القرآن والسنة وكانت بعض النساء تعلم زوجها العلم النافع وتعينه على طاعة الله .

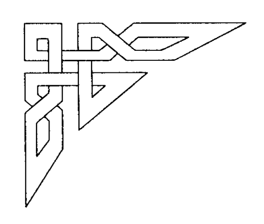
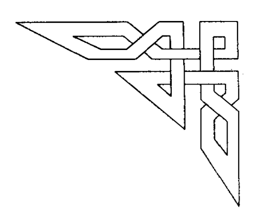
نسأل الله تعالى أن يبارك فى نساء المسلمين وبنات المسلمين وأولاد المسلمين وأن يقينا وإياهم السوء فى الدنيا والأخرة وآخر دعوانا أن الحمد لله العالمين .

* * *

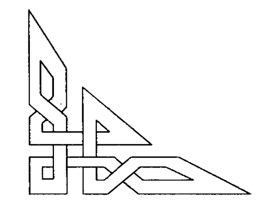
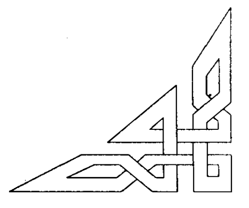
(١) فتح الباري جـ ١٦٤/٩ .

المراجع

١- القرآن الكريم .
٢- تفسير ابن كثير .
٣- تفسير القرطبي .
٤- صحيح البخاري ومسلم .
٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .
٦- المغني لابي قدامة .
٧- إحياء علوم الدين .
٨- الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي .
٩- تفسير الطبري .
١٠- فتح الباري لابن حجر .
١١- الحلية لأبي نعيم .
١٢- كنز العمال .
١٣- لسان العرب لابن منظور .
١٤- البداية والنهاية لابن كثير .
١٥- حياة الحيوان للدميري .
١٦- رياض الصالحين للنووي .
١٧- مسند أحمد .

الفهرس

دار اللواء للطباعة
ت : ٢٧٩٢٩٤٨ - ٢٨١٦٧٠٧